سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه مكية اجماعاً عدد آياتها مائة وخمس وثلاثون. و قيل: ثنتان و ثلاثون. وكلماتها الفٌ و ثلاثماه واحدى و اربعون(١٣٤١). و حروفها خمسة آلافٍ و ما ئتان و اثنان و اربعون (٥٢٤٢)

***

﴿**طه**﴾(١) اسمٌ للنّبيﷺ، حذف منه حروف النّداء ﴿**ما انزلنا عليك**﴾ يا محمّدٌ ﴿**القرآن لتشقى**﴾(٢) لتتعب بفرط تاسّفك عليهم و على كفرهم و تحسّرك على ان يؤمنوا فما عليك الا البلاغ. و ما انزلناه ﴿**الاّ تذكرةً**﴾ و موعظةً ﴿**لمن يخشى**﴾(٣) و امّا القلوب الغير الخاشية، فهى كالحجارة، ميتةٌ، لاتحسّ و لاتدرك و انزلنا القرآن ﴿**تنزيلاً ممّن خلق الارض و السّموات العلى**﴾(٤) المرتفعة، فهو المقتدر الحكيم الخبير وهو ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ (٥) استولى و نفذ امره و جرى مشيته فهذا استواء يليق به تعالى و أطلق الاستواء بمعنى الاستيلاء كقوله:

قد استوى بشر على العراق　　من غير سيفٍ و دمٍ مهراقِ

و العرش كنايةً عن عالم الوجود كلّه. علّله سبحانه بقوله ﴿**له ما فى السّموات و ما فى الارض و ما بينهما**﴾ من الموجودات ممّا نرى و ممّا لانرى ﴿**و ما تحت الثّرى**﴾ (٦) فى اعماق الارض ﴿**و ان تجهر بالقول**﴾ بذكرالله و الدّعاء فاعلم، انّه غنىٌّ عن ذلك ﴿**فانّه يعلم السروأخفى**﴾ (٧) من السّر فلا حاجة لك الى الجهر بالقول و هذا كقوله ﴿**واذكر ربّك فى نفسك تضرّعاً وخيفةً**﴾(الانعام (٦): ٦٣) ﴿**الله لا اله الّا هو له**

الأسماء الحسنى﴾ (٨) مبينة لاستحقاقه لها، فهل يعقل بعد هذا ان يدّعي محمّدٌ على الله الموصوف بهذه الصفات القرآن أو لاينصرالله رسوله او يتّخذ انساناً صنماً شريكاً لهذاالبارى؟!

ترجمه

طاها(١) ما قرآن را به تو نازل نكرديم كه در زحمت افتى. (٢) جز يادآورى براى كسى كه ترس دارد نيست. (٣) از جانب آن‌كه زمين و آسمان‌هاى بلند را آفريده، نازل شده است. (۴)خداى رحمانى كه بر عرش استيلا دارد. (۵) هر چه در آسمان ها وزمين و ميان آنها و زير خاک است از اوست. (۶) اگر سخن آشكار كنى او نهان و نهان‌تر را مى‌داند. (٧) خدائى كه جز او معبودى نيست و نام‌هاى نيكو دارد. (٨)

اللغة و الادب

﴿تشقى﴾ فعل المضارع المفرد من الشّقاء و الشّقاوة و هي ضدّ السّعادة. و قد يستعمل في التّعب و هو اعمّ من الشّقاوة كما هنا.

﴿تذكرة﴾ مصدر آخر للتّفعيل كالتّذكير.

﴿العلى﴾ جمع العليا مؤنّث الاعلى؛ كصغر و كبر، جمع صغرى و كبرى.

﴿ثرى﴾ التّراب النّديّ فان لم يكن نديّاً فهو ترابٌ.

﴿و هل اتاك﴾ يا محمّد **﴿حديث موسى﴾** (٩) الاستفهام للتّقرير، أي: اليس قد أتاك. و فيه تسليةٌ للنّبيﷺ لما يلاقيه من مشاقّ الدعوة و تحمّل اثقالها و انّ ذلك شان الانبياء قبله و انّه امر مستمربينهم. **﴿اذ راى ناراً﴾** اذكر وقت رؤيته ناراً و كانت في ليلةٍ مظلمةٍ شديدة البرد؛ لمّا خرج مسافراً الى امّه بعد استئذانه لشعيب **﴿فقال لاهله﴾** لامراته بنت شعيبٍ واسمها صفورا **﴿امكثوا﴾** اقيموا مكانكم؛ و ذلك في مسيره من مدين طالباً مصر، و بينهما ثمان مراحل بعد ما قضى الاجل الّذي جعله عليه شعيبٌ **﴿انّى آنست﴾** ابصرت **﴿ناراً﴾** ثمّ لمّا كان الاتيان بالقبس و وجود الهدى متوقّعين، بنى الامر على الرّجاء فقال: **﴿لعلّى آتيكم منها﴾** من النّار **﴿بقبسٍ﴾** جذوةٍ و شعلةٍ **﴿او اجد على النّارهدى﴾** (١٠) هادياً، يهديني الى الطّريق. و الظّاهر انّ (او) لمنع الخلوّ دون الجمع.

﴿فلما اتاها﴾ النّار الّتي آنسها **﴿نودى يا موسى﴾** (١١) من ناحية الشّجر الاخضر.

قيل: «لم يكن الّذى رآه، ناراً؛ بل كان نوراً حسبه موسى ناراً». [1] و هذا النّداء اوّل الكلمات، بينه و بين الله تعالى، قال موسى: من المتكلّم؟ قال الله تعالى: **﴿انّى انا ربّك﴾** فعرف انّه كلام الله **﴿فاخلع نعليك﴾** لانّ الحفوة، ابلغ في التّواضع و اقرب الى التّشريف و حسن التّادّب.

و قيل: «المراد تفريغ القلب من الاهل و المال». [2] **﴿انّك بالواد المقدّس﴾** المطهّر والمبارك، **﴿طوى﴾** (١٢) اسمٌ للوادي **﴿وانا اخترتك﴾** اصطفيتك بالنّبوة و الرّسالة. فنباه و ارسله في ذلك الوقت و في ذلك المكان. وعمره حينئذٍ اربعين سنةً.

﴿فاستمع لما يوحى﴾ (١٣) اليك منّي. و فيه. نهاية الهيبة و الجلال اى: جاءك امرٌ عظيمٌ فتاهّب له: **﴿انّنى انا الله لا اله الاّ انا﴾** و لامعبود بحقٍ سواي **﴿فاعبدنى﴾** خالصاً و لاتشرك في عبادتي احداً امره سبحانه بان يبلّغ ذلك قومه **﴿و اقم الصّلوة لذكرى﴾** (١٤) لتذكرني فيها بالتّسبيح و التّعظيم و الذّكر الكامل، أعني باللسان و الجنان و الاركان، لايتحقّق الاّ في ضمن الصّلاة او لتكون ذاكراً لي غير ناسٍ. او اقم الصّلاة متى ذكرت انّ عليك صلاة **﴿انّ السّاعة﴾** الّتي هي وقت الحساب و العقاب **﴿آتية﴾** لامحالة. فاعمل الخير من العبادة و الصّلاة؛ و هذا تعليلٌ لما قبله من الامر **﴿اكاد اخفيها﴾** قاربت أن أخفيها، فلا اقول هي آتية و لولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من المصلحة، لما اخبرت به. و مصلحة الاخفاء فيها و في ساعة الموت، ان يعمل الانسان بجدٍّ و لا يؤخّر التّوبة لحظةً و دائماً، يترقّب الموت في كلّ لحظةٍ.

﴿لتجزى كلّ نفسٍ بما تسعى﴾ (١٥) متعلّقٌ بآتية و ما بينهما اعتراضٌ. و السّعي يشمل الافعال الّتي يثاب او يعاقب العبد باتيانها. و امّا العقاب بترك الواجبات، فهو من لوازم الاثابة باتيانها و من مقتضيات سوء اختيار العصاة. **﴿فلا يصدّنّك عنها﴾** لا يصرفنّك عن ذكر السّاعة و مراقبتها **﴿من لايؤمن بها﴾** من الكفرة **﴿واتّبع هواه﴾** هوى نفسه بالانهماك في اللّذات الحسّيّة الفانية **﴿فتردى﴾** (١٦) فتهلك و هذا النّهي بظاهره نهيٌ عن صدّ موسى من السّاعة و لكنّه في الحقيقة نهيٌ له عن الانصداد عنها. فهو من باب لا ارينّك هيهنا. و في الآية اشارةٌ الى انّ كلّ داعيةٍ للخير لابدّ من وجود من يعوّقه و يكفربه و برسالته ويعمل على اخفاء نوره؛ و لكنّه تعالى متمّ نوره و لو كره المبطلون.

ترجمه

آیا داستان موسی به تو رسیده است. (۹) آن‌دم که آتشی دیده و به خانواده خود گفت: درنگ کنید که من آتشی دیدم، شاید شعله‌ای از آن برای شما بیارم یا به وسیله آن راه را پیدا کنم. (۱۰) و چون نزد آتش رسید، ندا داده شد ای موسی، (۱۱) من پروردگار توام پا پوش خویش بدر کن که در وادی مقدّس طوی هستی. (۱۲) من تو را برگزیدم به وحی که می‌گویم گوش فرا دار. (۱۳) من خدای یکتایم. خدائی جز من نیست مرا عبادت کن و برای یاد کردن من نماز به پا دار. (۱۴) قیامت آمدنی است می‌خواهم آن را پنهان کنم تا هر کس در مقابل کوششی که می‌کند سزا ببیند. (۱۵)

اللغة و الادب

﴿آنست﴾ فعل ماضٍ من الاناس و هو وجد ان الشّی الّذي يونس به

﴿قبس﴾ الشّعلة من النّار في طرف عودٍ او قصبةٍ او فتيلةٍ و نحوها.

﴿و ما تلك بيمينك يا موسى﴾(۱۷) ساله عما في يمينه و هو العالم بكلّ شيءٍ ليلفت نظره الى العصا و حقيقتها، و ليدرك عظمة الله يقلّبها الى حيّةٍ تسعى و لئلاّ يستبعد على الله شيئاً بعد ذلك. ﴿قال هي عصاى اتوكّأ عليها﴾ اتحامل عليها في المشي و اعتمد عليها عند الاعياء و عند الوثوب و النهوض للقيام ﴿و اهشّ بها على غنمي﴾ اسقط بها الورق على غنمي ﴿ولي فيها مئارب اخرى﴾ (۱۸) فهي تؤمنني العثرو تدني الى ما بَعُدَ منّي و اسوق بها ابّتي و اقرع بها الابواب و آقي بها عقورالكلاب و تنوب عن الرّبح في الطعان و ما الى ذلك؛ و الجاحظ عقد فصلاً في البيان و التّبيين لفوائد العصا.

﴿قال القها يا موسى﴾ (۱۹) لترى ما فيها من المعجزة ﴿فالقاها﴾ موسى على الارض ﴿فاذا هي حيّة تسعى﴾(۲۰) تمشي بسرعةٍ و خفّةٍ على بطنها، في صورة اعظم ثعبان. قيل: «فمرّت بشجرةٍ فاكلتها و مرّت بصخرةٍ فاثبلغتها فولّى موسى مدبراً[۳] ﴿قال﴾ سبحانه عند ذلك ﴿خذها﴾ بيمينك ﴿ولا تخف﴾ منها ﴿سنعيدها سيرتها﴾ حالتها ﴿الاولى﴾ (۲۱) فادخل يده بين فكّيها، فعادت عصا كما كانت، و الله على كلّ شيء قدير. و أرى ذلك موسى لئلا يجزع اذا انقلبت حية لدى فرعون ﴿واضمم يدك الى جناحك﴾ اجمع كفّك الى ما تحت عضدك و قيل: «ادخلها في جيبك»[۴] ﴿تخرج بيضاء﴾ لها نورٌ ساطعٌ

﴿من غير سوء﴾من غير برصٍ و هذا احتراسٌ لانّه يرفع توهّم غير المراد ﴿آية اخرى﴾(٢٢) فهذه معجزةٌ اخرى غير العصا فعلنا ذلك ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾(٢٣) بعض آياتنا العظمى على رسالتك﴿اذهب﴾ رسولاً ﴿الى فرعون﴾ و ملاه بهاتين الآيتين ﴿انّه طغى﴾(٢٤) تمرد و تكبّر و تجاوزالحدّ الى تعذيب بني اسرائيل و ادعاءالالوهية.

﴿قال﴾موسى ﴿ربّ اشرح لى صدرى﴾(٢٥) وسّع لي صدري حتّى لااضجر و لااخاف و لا اغتمّ. ﴿و يسّرلى امرى﴾(٢٦) سهّل عليّ ما أمرتني به من الرّسالة ﴿واحلل عقدةً من لسانى﴾(٢٧) و قد كان على لسانه رتّة و لكنّه من اثرالجمرة الّتي القاها فى فيه و هو طفلٌ. قيل: «انّه انحلّ ما كان بلسانه الاّ بقيّةً منه بدليل»[٥] قوله﴿قد اوتيت سولك يا موسى﴾ و قوله ﴿ولا يكاد يبين﴾.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

مآخذ:

١. *تفسير الكبير*، ج٢٢/١٥

٢. *القرطبى*، ج١١/١٧٣

٣. *تفسير الكبير*، ج٢٢/٢٨ و *مجمع البيان*، ج٧/١٧

٤. *تفسير الكبير*، ج٢٢/٣٠ و *مجمع البيان*، ج٧/١٤

٥. *مجمع البيان*، ج٧/١٨